تلك الفتاة ...

قصة للكاتب الايطالي
فاسكو براتوليني

ولد فاسكو براتوليني في فلورنسا عام ١٩١٣ ، وتقلب في عدة مهن ان يغدو محررا في جريدة ، ويكتب قصته الاولى : « السجادة الخضراء » . وبالرغم من تجاهل النقاد لكتابيه التاليين : « شارع ماغازيني » و « الصديق » ، فقد فاز كتابه الرابع : « GRONACHE DI PAVORI AMANTE » بجائزة لوغانو . ويعتبر فاسكو براتوليني اليوم من كبار الكتاب الايطاليين . وشهرته خارج وطنه لا تضاهيها سوى اسماء قلة من الروائيين الافذاذ ، امثال : غابريال دانونزيو ، لويجي بيراندللو ، والبرتو مورافيا .

انها قصة حدثت منذ عشرة اعوام . كنت شابا ككثيرين غيري ، احب قراءة الكتب ، احب ربطات العنق الجميلة ، ومباريات كرة القدم . وكانت لدي دراجة سريعة مطلية بلون البرتقال ، ذات محول لزيادة السرعة بواسطة القدمين . في الطقس الحسن ، مع تركي للعمل ، بدلا من العودة الى البيت وتبديل ثيابي ، كنت اضغط بقدمي على كفي عجلة الحركة ، واتجه الى التلال التي تحيط بالمدينة .

كان ضوء الشفق واول ظلال الليل تجعلني حزينا . وما كان لي من دواء اخر غير امتطاء الدراجة حتى ينهكني التعب . وكان لي عدد قليل من الاصدقاء . وبالنسبة لهم ، تصرفات من هذا النمط ، كامتطاء الدراجة فوق التلال ، وقراءة الكتب .. قد وضعتهم ضدي !

والحقيقة هي انني كنت بحاجة الى حب . كنت اتخيل الصميمية الحلوة ، البيت .. الاولاد ! كل فتاة كنت اراها في الطريق ، اتخيلها زوجتي ! ومع كل هذا ، ما كنت استطيع الفوز على الوجل الذي كان يتمكن مني عند اقترابي من امرأة .

كنت فخورا ، أتحاشى الادلاء لاصدقائي بمشاكلي . وكنت ارفض مرافقتهم الى قاعات الرقص ، او الى النزهات . وكنت اضحك من سطحيتهم ، مع انني كنت اغبطهم كثيرا .

* * *

ذات صباح ، وكان ذلك في ايلول ، عرض لي حادث في الشغل ، شيء بسيط . اكثر بقليل من خدش في يدي اليمنى . لكني امتنعت عن الذهاب الى العمل خلال بضعة ايام . كان قد مضى لي وقت لم يحدث لي فيه ان بقيت طليقا في ايام الاسبوع . وكان الناس يبدون انهم يتحركون في اتجاه مغاير للاتجاه الذي يقصدونه في الاحاد . كنت اشعر باني مفموم للتسكع في الشوارع مضمد الباهم . وتوصلت الى نسيان التنزه على التلال . واي جديد بدا لي مشهد الميادين والمتاجر ، والذهاب والاياب في منتصف النهار وسط المدينة .

كان لي تسعة عشر عاما من العمر .. ولربما يكون هنا الايضاح ! ففي البيت الذي انتهيت الى الوقوف عنده ، التقيت بها للمرة الاولى . وبدت لي منذ البدء فتاة كغيرها من الفتيات . وعندما بقينا منفردين اضحت رائعة ! ويكفي انها ، بدلا من ان تلفظ اية عبارة ما قالت :

ـ ما اجمل الطقس اليوم ! هل تحسن الرقص ؟

وتناولت « فونوغرافا » نقالا من تحت الكنبة ، ووضعت فيه اسطوانة . ولاجابتي بالنفي ، أردفت :

ـ لا يهم .. انا اقودك .

ورقصنا هكذا ، محصورين بين السرير والخزانة ، مدفوعين قليلا نحو النافذة ، حيث كان المجال اكثر اتساعا . ومن خلال الزجاج المسدل ، كانت تتسرب خيوط الضوء . واعادت الاسطوانة حركتها . اعتقد انها تانغو ..

وحينما تركتها ، رأيت انه من الواجب الا اعود فأراها . عندما ودعتها ، حدث بالضبط ، ان اعربت عن رغبتها في حيازة اسطوانة جديدة . واخذت على عاتقي هذه المهمة . وحينما وجدت نفسي وحيدا في الشارع ، وبعد ذلك ، في الحانوت ، ابتاع الاسطوانة ، فكرت مليا فيها وقلت لنفسي : لاول مرة افعل شيئا ما لامرأة . وانها المرة الاولى التي تحدثني فيها امرأة ، عن شعري وعن عيني ، بشيء من الاهتمام . كنت حذقا ، خاصة ، كوني تقبلت هذه الاطراءات دون شعور بالوجل ، وليس لانها حدثت لمجرد الحدوث .. بل للسعادة الصميمة التي تذوقتها وانا اتقبلها .. او هكذا بدا لي !

الان ! اصبح لدي حب وقد عمق الحب مع مرور الايام . وسجيتي جعلتني غير قادر على تحليل انفعالاتي ومشاعري ، وما كانت لتلمسها على الاقل .

وكمتيم ، تصرفت في الايام التالية ، وبطريقة بدت عبثا .

ارسلت لها الاسطوانة الموعودة ، في وقت ما كان يهمني فيه ان اراها من جديد . من ثم ، كانت تخصني . كانت كل شيء ! وكنت عائشا في نوع من الانفعال . والاشياء التي كانت تحيط بي ، بدات كبيرة كتصرفاتي الاكثر سهولة ، وحركاتي الاكثر تلقائية .

كنت اخترع المشاهد الاكثر بطولة وتواضعا انها كل ما كنت انتظره من حبي . وما كان يقلقني ان اعرف من كانت ؟ وماذا كانت تفعل ؟ ولا ابة فكرة كانت لديها عني ، ولا الذي كان يفرقنا في اعين الناس كان يكفيني ان تكون هناك ، في تلك الغرفة ، مع فونوغرافها !

* * *

عدت الى العمل . وازدادت نزهاتي حول التلال . كنت امتطي الدراجة مغنيا ، واصل الى البيت ليلا وبي جوع عظيم ، وبهجة في القلب . كنت اتصورها تنتظرني ، ولربما تتعذب لغيابي ، دون ان تعرف عني شيئا . ولعلها تبحث عني .. وكلما يفتح فيها الباب ، كان قلبها يخفق داخل صدرها . وكنت ايضا ، اتلذذ بعذابها هذا .

ساعود الى هناك ذات صباح ، وآخذها باندفاع ، في احضاني . (وبدا لي اني احملها بذراعي طيلة النهار) واستقدمها الى بيتي . وعندما نكون قد وصلنا ، سأهتف : « مرحى .. مرحى ! » وسيقبل احدنا الاخر .

ومع ان رغبتي تعذبني فيما لو حدث هذا ، فقد مددتها بقدر استطاعتي .

* * *

ذات ليلة ، اذ كنت امتطي الدراجة على التلال غلبني الوجد ، فانحنيت فوق المقود واندفعت في المنحدرات . اجتزت المدينة ووصلت الى بيتها .

لقد رحلت . وطلبت ان يبلغوني وداعها : (مصافحة للسيد صاحب الاسطوانة) ، واسفها لاني لم اعد . ولم اتشكك لحظة باني قد اضعتها..

قالوا لي بانها ستعود قبل الشتاء وبتأنيب ، اعتقدوني كاحد الدوافع على رحيلها .

طلبت ، واعطوني عنوانها . كتبت لها بسرعة ، قائلا لها ، باني ما نسيتها ، وسأنتظرها ..

كانت سعادتي محددة . وظللت راضيا ومتأكدا بأن انجذابنا العاطفي كان متبادلا . واجابتني ببطاقة بريدية : (اشواق وقبلات ، والى اللقاء القريب) وجميعه كان ذا معنى ، نفس البلدة التي كانت توجد فيها ، على شاطيء البحر ، بدت لي انها تحرضني على السفر ..

انه عالم جديد يجمعنا وابتدأت احبها ، لانها كانت كمخلوقة، ذات العينين اللتين كانتا خضراوين ، والشعر الكستنائي المقصوص والجيد الابيض ، فمها .. الصدر .. كل شيء فيها ، كما عرفتها !

لكن ازاء شدة تفكيري وهيامي بها ، ومناجاتي لها ، تملكني الشك والخوف من ان لا اتذكرها كما كانت حقيقة . هل كانت عيناها حقا خضراوين وصوتها الذي لم استطع ان اجعله يصدي في مسامعي؟

كتبت لها من جديد ، طالبا منها ان تعود قريبا ، اذ كنت محتاجا لها لم اقل لها عما كان يحدث في داخلي ، والذي كانت تجهله كنت اعلن نفسي كمتيم موتور ، اتوعد غراميا .

* * *

التقيت بها امام باب حجرتي ذات ليلة . ما كان بوسعي ان اميزها وهي مرتدية ذلك الثوب ! امرأة انيقة وجميلة ! وبالنقاب الذي كان يغطي نصف وجهها ، مع قبعة رمادية .

كنت اهم بعبور الباب ذاهلا ، احمل الدراجة على ظهري فلت :

ـ والان ؟

واردفت :

ـ ليلة سعيدة !

كان هو صوتها ..

تركت الدراجة تسقط على الارض . ودفعتها نحوي، قابضا عليها من المرفقين ، وحدقت في عينيها من تحت دانتيل النقاب ، كانتا خضراوين !..

* * *

وما تتابع حتى ذات يوم ، ليس بذي اهمية ، تظاهرت بالمرض ، وتهربت من العمل . عشنا سويعات سعيدة دون ان نطلب شيئا اكثر او احسن . واذ كنت اقول باني كنت اريدها كثيرا ، كثيرا جدا ... كانت تبدو راضية ، وتحتضنني بقوة اكثر ، وتقول :

ـ انا ايضا احبك . ولكن كما اعتقد ليس كما ترغب في ان احبك .

في ذلك اليوم ، عالجنا امر عودتي الى العمل في ساعات معلومة ، امضينا موتورين حتى من ذات انفسنا . كنا نتحدث هادئين ، كصديقين . وبدا لي ساعتئذ ان امرأة احلامي قد اصبحت اخيرا شيئا حيا ... حقيقة ! وعندما كنت اداعبها ، كنت اداعب ايضا افكاري اللذيذة ؟ بيت .. اولاد !

حدثتها بذلك . في البداية لم تجب . ولكن وجهها بدا جادا، وثمة شيء حدث في هيئتها وفي جسمها الذي كان ملتصقا بي . كان لدي احساس بانها كانت تستجمع قواها . واذ دنت اللحظة المرعبة، كان من اللازم ، لكي انفوق عليها ، ان اكسب تلك التجربة .

لقد توقعت ذلك . وأخذت بضعفي القديم . ادركت بانه كان يتوجب علي ان اكون مستعدا للصراع .. لكن ، لم تكن لي القدرة على القيام به .

« معا كل العمر » ...

كنت اقول ، وحتى قبل ان تجيب ، بدت كلماتي سخيفة . وكما لو كان لدي اي شيء اخر لافقده ، فقدتها هي بالذات ! انها لم تعرفني في ضعفي وخشيتي . فقد عادت الى بيتها ، بين السرير والخزانة، الى فونوغرافها .. ومن وقت لاخر ، كنا نقضي ايامنا بطوالها ، معا واحيانا ، كانت تبدو لي المرأة الحالمة ، نفس العينين ، ذات الصوت . ولم يحدث لي ان اصبحت عادة لها او ادمان.

بعد ذلك ، نقضت ميعادا ، قالوا لي بانها رحلت دون ان تترك عنوانا جديدا . حدثوني بجفاء ، مع نظرات تأنيب .

ومضى عام .. كنت قد بعت الدراجة . ولم ارجع الى التلال التي كانت تذكرني بالسعادة . ظللت في كل مرة ، اكثر انفرادا . كنت اقرأ كثيرا . وانتظر وصول نبأ سار عندما استيقظ من نومي. ومغلفي الخاص بالقبض ، كان يردني مليئا بالغرامات عن ساعات العمل الضائعة.

واستدعيت الى الجيش ، كان ذلك في عام ١٩٣٥ . وبعد ذلك بأشهر قلائل كنت موجودا في افريقيا . وهناك استلمت رسالة منها، هذه هي :

« أمن المستحسن ان تستلم رسالة مني ؟ انها امك من اعطتني العنوان . اتدري بانها كثيرة الشبه بك ؟ عندما تتكلم ، ترفع احيانا حاجبيها ، مثلك . التقيت بها في البيت بمفردها . وحالما فتحت الباب، قالت لي :

ـ لكن ، انظروا من أرى !

كأنها تعرفني . في الواقع ، قالت انها عرفتني لانك كنت تحتفظ دائما بصورتي فوق الخزانة النصفية . كانت تلك ، ذات السيكارة في الفم . واعتقد بانها كانت تريد تعنيفي ، لكنها قلبيا ، كانت لطيفة. اقنعتها بان تعطيني عنوانك ، وعاهدتها بان ذلك ما كان لاعادة علاقاتنا. فانا لا اريد اعادة العلاقات مع أي كان . ولكن ، بما انني لست على ما يرام ، صحيا .. فمن اللازم ان اكتب اليك :

قد تتذكر بان تلك المنغصات كانت تهاجمني باستمرار . والان، هي اكثر من أي وقت ، خاصة في الليل . منذ شهور وانا لا اتمكن من اغماض

صدر حديثا :

عيناك قدري

قصص

بقلم غادة السمان

الثمن ٣ ل.ل

منشورات دار الاداب

عين واحدة ، ولكن جسديا ، ابدو دائما في هيئة جيدة . ومعلمتي (١) تعتني بي كأخت لها ، اذ تلازمني حتى ساعة متأخرة من الليل . اجل، اني امارس دائما نفس الحياة ! كيف يكون بوسعها ان تتغير ؟ لانه للحقن فقط ، يلزمني مبالغ كبيرة !! وانت .. كيف حالك ؟ هل غدوت اسمر ؟ ان والدتك تقاسي الكثير لاجلك . ولكنني متأكدة بان شيئا لن يحدث لك . لا يمكن حدوث شيء لك . أما لي انا ؟ نعم ! انا واثقة الان. ولكن انت ، لا يمكن ان تموت.. اذ من يفكر به ؟ كنت اريدك ان تشاهد كم هو جميل ، ذلك القفص المشبك الذي أوصيت باقامته للقبر . والصليب لا يبدو صليبا . انه عامود صغير من الرمر ، ضخم في الوسط مثل الذي يستعمل للاطفال . انه بائع الرمر من اسداني النصح. واسقاه ، لانك لم تعرفه . انا ايضا ، احيانا لا اذكر بعد كيف كان هو .. كانت لدي صورته في الحقيبة التي سرقوها مني في المحطة . لقد انفقت ثلاثة الاف لير على الاعلان في الجرائد للعثور عليها . وتوصلت الى ان ادفع ليضعوا اعلانا في هذه اللافتات الكبيرة (٢) في الشوارع . لكن دون جدوى ..

كان يكفي ان آخذه في احضاني ليشرع في البكاء . والمرة الاخيره انتهى بأن يداعبني . كنت قد اشتريت له كثيرا من الالعاب . كانت في الصندوق ، وقد حفظت . يوجد بطة صغيرة ، وعندما يضغط احد على منقارها ، تصرخ : « كوا .. كوا » انها الان متفرقة في ارجاء الغرفة. والدب ارسلته للتصليح ، لان زبونا جلس عليه وكسر رفاصه .

كان اشقر . يجب ان اتناول الان حقنة ، واتابع الكتابة اليك. انها الرابعة صباحا ، وانا اشعر بتحسن نوعا ما . امس ، كان اليوم يوم احد ، وغدوت منهوكة من التعب . لم يتبق سوى ايام قليلة لنهاية الشهر . ان شاء الله ، سأركن الى الراحة قليلا . لكن ، اذا ذهبت الى احد الفنادق ، سأنفق كل ما ادخرته !..

ستراني قد شخت . انقضت سنتان او اكثر لم ارك فيهما . وانت؟ كيف تبدو ؟ هل اصبحت بدينا ؟ اليوم يكون قد مضى عام وشهران وسبعة أيام . اذ مات في اليوم الثاني عشر من شهر شباط ، في العام المنصرم .

كنت أخشى ان تعترف به كابن لك ، تكرما منك ، فقد كنت تحبني، وهذا حسن . ولكن ، كنت تظل في شك . علاوة عن هذا ، قد اهدم كيانك بسلوكي . فانا اعلم جيدا .. لهذا لم اخبرك بشيء ابدا . فكونك ذا ابن ، يعني اعطاء نفع لحياتي .. ان حياتي الان هي صفر من جديد!

ان مجرد كوني لا استطيع التدخين ، يكفي بان ارغب في الاسوأ . وحينما اصل الى منتصف اللفافة ، يبدو لي ان قلبي يريد الخروج من فمي . لكن ، ليس لي احد في هذا العالم . لا احد .. لا احد !.. فمن سينهب ليراه ؟ اتفهم ؟ قبره !! يمكن ان يغدو ككثير غيره ، مهجورا، يمر الناس فوقة . انه كان ابنك ! اية فائدة احرزها في الكذب عليك الان ، ما دام ليس موجودا بعد ؟ ينبغي لك ان تعاهدني في الذهاب اليه فتراه كل اسبوع ! مات من حمى في الأمعاء . من يدري انهم لم يطعموه ؟ كنت ادفع . صدقني .. اذا طلبوا ستة ، كنت اعطيهم عشرة، لكي ينتبهوا اليه جيدا .

انه كان ابنك . والعناية بالقبر تكلف ليرات قليلة في الشهر . وهنا عنوان المرأة المولجة به حاليا .

قالت لي امك بانك بعت الدراجة عندما اختفيت . سأتدبر وسيلة لاترك لك النقود لتشتري غيرها . وهكذا ، تذهب لتراه بالدراجة . اني اعلم بانك تسر لنزهة على الدراجة .. »

وعندما استلمت رسالتها ، كانت ميتة !

ترجمة : عوض شعبان

---

(١) PATROA وهي هنا بمعنى قوادة .

(٢) في الاصل PLACARD المأخوذة عن الفرنسية .

سلسلة المسرحيات العالمية

سلسلة جديدة تقدم فيها دار الاداب مجموعة رائعة من اشهر المسرحيات العالمية التي وضعها كبار كتاب المسرح

صدر منها :

١ ـ البغي الفاضلة وموتى بلا قبور

بقلم جان بول سارتر

ترجمة الدكتور سهيل ادريس والمحامي جلال مطرجي

الثمن ٢٠٠ ق.ل

٢ ـ ماريانا

تأليف فديريكو غارسيا لوركا

ترجمة شاكر مصطفى

الثمن ٢٠٠ ق.ل

٣ ـ هيروشيما حبيبي

تأليف مرغريت دورا

ترجمة الدكتور سهيل ادريس

الثمن ٢٠٠ ق.ل

٤ ـ لكل حقيقته

تأليف لويجي بيراندللو

ترجمة جورج طرابيشي

الثمن ٢٠٠ ق.ل

٥ ـ تمت اللعبة

تأليف جان بول سارتر

ترجمة مجاهد ع. مجاهد

الثمن ٢٠٠ ق.ل

منشورات دار الاداب ـ بيروت